ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

إشكالية صناعة الأمفورات في شبه الجزيرة الطنجية خلال الفترة الرومانية

بوعزة بن مسعود بوعزة

باحث دكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – تطوان
جامعة عبد الملك السعدي- المملكة المغربية

مُلَخّصْ

دخلت شبه الجزيرة الطنجية في بوتقة الاقتصاد المتوسطي منذ وصول التجار الفنيقيين إلى أقصى غرب البحر الأبيض المتوسط، حيث عرفت المنطقة تطورًا كبيرًا في بنيتها الاقتصادية سواء في الميدان الفلاحي أو الصناعي أو التجاري. وقد واكبت المنطقة التطور الاقتصادي الذي كان يعرفه حوض البحر الأبيض المتوسط عبر مر العصور، فمحترفاتها نشطت في كثير من الصناعات، من بينها صناعة الأمفورات التي تطورت منذ القرن السادس قبل الميلاد، إذ طورت محترفات المنطقة مجموعة من أصناف الأمفورات التي تعددت استعمالاتها ووظائفها، ومن أهم هذه المحترفات يمكن ذكر الأقواس ظهر أسقفان وعين مصباح. لكن ما يثير الانتباه هو أن بعض هذه المحترفات توقف في الفترة الرومانية ولا نعلم الجهة التي كانت تمول المنطقة بالأمفورات، خاصةً وأن المنطقة عرفت انتعاشًا اقتصاديًا كبيرًا في هذه الفترة تطلب وجود عدد كبير من الأمفورات لتصدير خيرات المنطقة إلى الخارج. فهل صنعت محترفات شبه الجزيرة الطنجية الأمفورات في الفترة الرومانية أم أن منطقة ما زودتها بهذه الحاويات؟

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٥ يوليو ٢٠١٥
تاريخ قبول النشر: ٩ أكتوبر ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

شبه الجزيرة الطنجية، حوض البحر الأبيض المتوسط، مضيق جبل طارق، أمفورة، طنجة، ليكسوس، روما.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بوعزة بن مسعود بوعزة. "إشكالية صناعة الأمفورات في شبه الجزيرة الطنجية خلال الفترة الرومانية".- دورية كان التاريخية.- العدد الثلاثون؛ ديسمبر ٢٠١٥. ص ٨٧ – ٩١.

مُقَدِّمَةْ

عرفت شبه الجزيرة الطنجية رواجًا اقتصاديًا كبيرًا في الفترة الرومانية وهذا ما تشهد عليه المصادر التاريخية القديمة وكذا المخلفات الأثرية المنتشرة على رقعتها، إذ تضاعفت المستغلات الفلاحية بالمنطقة كما تضاعفت معامل تمليح السمك التي انتشرت على سواحلها. وقد كانت جل منتجات المنطقة تصدر إلى الخارج خاصة نحو روما، هذه المنتجات أغلبها كان بحاجة إلى حاويات لنقلها نحو الخارج، خاصةً السمك المملوح الذي كان لابد له من الأمفورات لتعبئته، لكن ما يثير الانتباه هو عدم العثور إلى حد الساعة بالمنطقة على محترفات لصنع الأمفورات في شبه الجزيرة الطنجية تعود لبدايات التدخل الروماني بالمنطقة. يحق التساؤل إذا عن الأماكن التي كانت تعبأ وتصدر منتجات المنطقة في الفترة الرومانية، مع العلم أن المنطقة كانت بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى الأمفورات نظرًا للاستغلال المكثف للثروات الذي شهدته المنطقة في هذه الفترة؟

من خلال هذه الصفحات سنحاول صبر أغوار الإشكال الذي لا زال يحوم حول صناعة الأمفورات في شبه الجزيرة الطنجية في الفترة الرومانية، مع العلم أن المنطقة طورت محترفات هذه الصناعة منذ القرن السادس قبل الميلاد، فمحترف الأقواس صنع مجموعة من أصناف الأمفورات التي وجدت في مناطق مختلفة من حوض البحر الأبيض المتوسط كأمفورات (Maña-Pascual A4) نهاية القرن السادس ق.م - الثاني ق.م،[١]، و(Carmona T-9.1.1.1) بداية القرن الرابع ق.م ونهاية القرن الثالث ق.م،[٢] وأمفورات (Maña C2b) نهاية القرن الثاني ق.م - الربع الثالث من

القرن الأول ق.م،[٣] وأمفورات (Dressel 7-11) النصف الثاني من القرن الأول ق.م - النصف الأول من القرن الأول م،[٤] كما صنع في محترف عين مصباح (جنوب مدينة أصيلا) صنفين من الأمفورات؛[٥] (Dressel 7-11)، و(Haltern 70) النصف الثاني من القرن الأول ق.م - النصف الأول من القرن الأول الميلادي، كما ثبت صنع أمفورات (Maña-Pascual A4) صنف (T-12.1.1.1) القرن الثالث – القرن الثاني ق.م، بمحترف ظهر أسقفان. إضافة إلى هذا يحتمل أن تكون بعض مدن شبه الجزيرة الطنجية قد صنعت بعض أصناف الأمفورات، كليكسوس وتمودة اللتان يرجح أن تكونا قد صنعتا صنفي[٦] (Dressel 18)، و(Dressel 7-11)، كما يحتمل أن تكون مدينة طنجة قد صنعت أمفورات[٧] (Dressel 18)، كذلك يرجح أن تكون مدينة سبتة قد صنعت أمفورات[٨] (Dressel 7-11). يدل هذا على أن شبه الجزيرة الطنجية نشطت في صناعة الأمفورات قبل الاحتلال الروماني، وطورت أصناف مختلفة من هذه الصناعة، فهل حافظت المنطقة على إنتاجها من الأمفورات في الفترة الرومانية عجز البحث الأثري كشف النقاب عنه؟ أم أن الرومان كانوا في غنى عن محترفات المنطقة فاستوردوا الأمفورات من خارج شبه الجزيرة الطنجية؟

بعد إحكام الرومان قبضتهم على موريطانيا الغربية وتحويلها إلى ولاية رومانية تحت اسم موريطانيا الطنجية (٤٠- ٤٢م)، شرع الغزاة الرومان في استغلال ثروات المنطقة المتنوعة، سواء مواد أولية أو مصنعة لاقت إقبالا كبيرا في الأسواق الرومانية. إذ عمل الرومان على تطوير بعض الصناعات المحلية التي مارسها الإنسان الموري لقرون عدة، ونخص بالذكر صناعة تصبير السمك الذي برع في إنتاجه الموريون منذ القرن السادس والخامس ق.م.[٩] ففي المرحلة الرومانية تضاعف عدد معامل تمليح السمك بشبه الجزيرة الطنجية على طول الساحلين المتوسطي والأطلسي. ولا شك أن صناعة تصبير السمك ومشتقاته كانت بحاجة ماسة إلى الأمفورات، كما تزايدت المستغلات الفلاحية بالمنطقة التي نشطت بها زراعة الزيتون واستخراج الزيت، وكذا زراعة الكروم وإنتاج الخمور.[١٠] لكن رغم هذا التطور والنشاط الاقتصادي الذي شهدته المنطقة بقي إنتاج الأمفورات في المنطقة خلال العهد الروماني لغزًا حير كثيرًا من الباحثين بهذا المجال الجغرافي مما حذى بالباحث بونسيك أن اقترح فرضية استيراد الأمفورات من شبه الجزيرة الإيبرية فارغة لتعبأ هنا بهذه المنتجات.[١١] لكن ما هو عدد الأمفورات التي كانت تستورد من شبه الجزيرة الإيبرية أمام الاستغلال المفرط لثروات المنطقة من طرف المستعمرين الرومان؟ وهل فعلا عجز الطنجيون عن صناعة الأمفورات ليستوردوها من الضفة الشمالية للمضيق، مع العلم أن هذه الصناعة لا تتطلب مهارة كبيرة وتقنيات عالية بقدر ما كانت تحتاج إلى مواد أولية لا يخلو منها مكان؟

١ـ حاجيات شبه الجزيرة الطنجية من الأمفورات

توجد بشبه الجزيرة الطنجية عدة معامل لتمليح السمك تنتشر من مصب نهر مرتيل إلى وادي ليكسوس[١٢]، هذه المعامل كانت بحاجة إلى عدة أمفورات لتعبئة منتوجاتها التي كان جزءها الكبير موجه للتصدير نحو الخارج. فمعامل تمليح السمك في مدينة ليكسوس مثلا كانت تنتج حوالي مليون لتر من السمك المصبر ونقيع السمك، وبهذا تكون معامل ليكسوس أكبر معامل تمليح السمك في البحر الأبيض المتوسط في الفترة الرومانية، هذه الكمية الكبيرة كانت بحاجة إلى (٢٥٠٠٠٠) أمفورة لتعبئة منتجاتها. أما معمل تمليح السمك بتهدارت فقد فاقت طاقته الإنتاجية (٤٣٢٠٠٠) لتر كانت تحتاج حوالي (١٠٠٠٠٠) أمفورة، بينما وصل إنتاج كوطا إلى ما يزيد عن (٢٧٠٠٠٠) لتر كانت تحتاج إلى (٦٧٥٠٠) أمفورة[١٣]، هذه الوحدات الإنتاجية الثلاثة كانت في حاجة إلى (٤١٧٥٠٠) أمفورة لنقل إنتاجها دون احتساب المعامل الأخرى. إذن فأمام الحاجة الكبيرة لهذا الكم الهائل من الأمفورات كان لابد من وجود مزود رئيس لهذه المعامل من الأمفورات التي تحتاج إليها معامل تمليح السمك، المنتشرة على السواحل الطنجية والتي أنتجت كمية كبيرة من السمك المصبر ونقيع السمك، دون الحديث عن الخمور وزيت الزيتون التي أنتجت بكميات وفيرة في هذه الفترة، بحيث يستحيل معها استيراد الأمفورات الفارغة من مناطق خارج شبه الجزيرة الطنجية كما اقترح بونسيك. إذن من كان يزود المنطقة بالأمفورات لحمل وتصدير منتجاتها؟

إلى حد الساعة نتوفر على محترف واحد كان يصنع الأمفورات في شبه الجزيرة الطنجية خلال الفترة المتأخرة من التواجد الروماني في المنطقة، وهو محترف ظهر أسقفان[١٤] الذي أنتج نوعًا واحدًا هو (Almagro 51) أصناف[١٥] (A-B et C) الذي يؤرخ بنهاية القرن الثالث والقرن الخامس. لكن لدينا بعض الأدلة توحي بوجود محترفات أخرى في شبه الجزيرة الطنجية كانت تشتغل قبل هذا التاريخ[١٦]، إذ تم العثور في مناطق مختلفة من حوض البحر الأبيض المتوسط على مجموعة من الأمفورات كتب عليها عبارات تحمل أسماء بعض المدن لشبه الجزيرة الطنجية ونوع المنتوج الذي كانت تحمله هذه الأمفورات، تعود كلها إلى الفترة الرومانية.

٢ـ أمفورات مدينة ليكسوس

عُثر في منطقة أليريا الإسبانية على أمفورة من نوع Beltran IIA تحمل عبارة:

COD PORT LIX VET Co(r)d(ula)[17] Port(uensis)[18] Lix(itana) uet(us).

أما في مدينة بومبي (إيطاليا) فقد عثر على مجموعة من الأمفورات كتبت عليها عبارات مختلفة منها:

- CORD L ARG VE cord(ula) L(ixitana) arg(uta) ue(tus)[19].
- COD LIX VE Co(r)d(ula) Lix(itana) ve(tus) EXCEL excel(lens).
- M. VALERI ABINNERICI M(arci) Valeri Abinnerici[20]
- C[---] LIX VE C[ordula] Lix(itana) ve(tus)
- EXCELL excell(ens)
- SVMMA summa(rum?)

XXXX XXXX[21]

- COD LIX V Co(r)d(ula) Lix(itana) v(etus) SVMMA summa(rum) EXCEL excel(lens)

X[---] X[---]
XXXX XXXX[22]
M. COSCONI SATVRNIN M(arci) Cosconi Saturnin(i)

- COD LIXS Co(r)d(ula) Lix<s>(itana) EXCELL excell(ens) SVMMAR summar(um) AIIIIA (annorum) IIII

XXV XXV
C. PAPINI PLANTAES C(ai) Papini Plantaes[23]

- LAC BES LIX A VET Lac(catum?) BES Lix(itanum) a(rgutum) vet(us) SVMMAR summar(um?) AAA (annorum trium)

CXL CXL
C. TERENTI PAVL[--] C(ai) Terenti Paul(li)[24]

- [---]D LIX VE [Cor]d(ula) Lix(itana) ve(tus) [---]MAR [sum]mar(um?) [---]II [annorum duorum?][25]
- CORD L ARG VE Cord(ula) L(ixitana) arg(uta) ve(tus) PENVAR penuar(um) SVMMAR summar(um) AXIIIA (annorum) XIII

CC CC[26]
ASPASIA POLIDDORI Aspasia Poli<d>dori

- CONDT ARG LI Cond(i)t(um?) arg(utum) Li(ixitanum) PENVAR penuar(um)

CI CI[27].

وفي Augst (سويسرا) عثر على أمفورة من صنف Beltran IIB كتب عليها:

COD LIX VE Co(r)d(ula) Lix(itana) ve(tus)
[---] [penuarum]
SVM sum(marum)
EXCEL excel(lens)
LXX LXX
M[---] M[---][28].

كما عثر في (Augst) على أمفورة من نوع (Dressel 9) كتب عليها:

MVR Mur(ia)
L[---] L(ixitana?)[29].

إضافة إلى هذا عثر في كل من: (Ladenburg) ألمانيا، و(Augst)، و(Aquileia) إيطاليا على بعض الأمفورات الليكسية التي كانت مختصة في حمل السمك المصبر.[٣٠]

٣ـ أمفورات مدينة طنجة

أما عن مدينة طنجة فقد عُثر في (Vindonissa) سويسرا على أمفورتين من نوع (Beltran IIB)، الأولى كتب عليها عبارة (CORD TING VET) والأخرى كُتب عليها عبارة (COD TING VE)،[٣١] وفي مدينة بومبي عثر على عدة أمفورات طنجية من النوع نفسه كُتبت عليها عبارات مختلفة نذكر منها:

-CORD T ARG VE التي تقرأ: cord(ula) T(ingitana) arg(uta) ue(tus)[32]

- COD TI VE Co(r)d(ula) Ti(ngitana) ve(tus)

XXX XXX
M ET L CLAVDIORVM M(arci?) et L(uci?) Claudiorum[33]

- COD TING VET Co(r)d(ula) Ting(itana) vet(us) SVMMAR summar(um) P XX p(ondus?) XX

LXXX LXXX
C. TERENTI PAVLLI C(ai) Terenti Paulli[34]

- LAC BES TING VE Lac(catum) BES Ting(itanum) ve(tus) EXSCELL exscell(ens) AAA (annorum trium)

CXXXXV CXXXXV
A. ATINI HERCVLANI A(uli?) Atini Herculani[35]

- CODT TNG VE Co(n)d(i)t(um) T(i)ng(itanum) ve(tus) SVMMAR summar(um)

XXX XXX
G[---] G[---]
M ET L CLAVDIORVM M(arci) et L(uci) Claudiorum[36].

إضافة إلى هذا، عُثر في كل من (Alésia) فرنسا، و(Fos) فرنسا وروما على بعض الأمفورات كُتبت عليها عبارات (COD PORT VET)، و(COD PO V)، و(COD POM VET) هذه الأمفورات تنسب إلى مدينتي طنجي وليكسوس لأنهما المدينتان اللتان عرفتا بإنتاجهما الكبير لهذا النوع من السمك المصبر ونقيع السمك بعمودي هرقل.[٣٧] كما يحتمل أن تكون مدينة سبتة قد صنعت أمفورات(BELTRÁN IIA)، حيث عُثر على بعض القطع لهذه الأمفورات تعرضت لعملية شي غير ناجحة[٣٨]، هذا وقد أشار الباحث داربو كسسولة أثناء دراسته لأمفورات مدينة سبتة، خاصة

صنف (ALMAGRO 51 A-B) إلى أن هذه الأمفورات محلية الصنع.[٣٩]

خاتمة

إذا كان الحديث عن صناعة الأمفورات يحتاج إلى قرائن دامغة أكثر من هذا، إما بالعثور على أفران لصناعة الأمفورات أو العثور على أمفورات تعرضت للحرق أو لعملية الشي غير ناجحة، فتبقى هذه المساهمة كمقدمة لمشروع بحث أثري في المنطقة لرفع اللبس عن هذا الإشكال، فالبحث الأثري هو الكفيل بإثبات أو نفي هذه الفرضية، لكن العثور على هذه الأمفورات في مناطق مختلفة من حوض البحر الأبيض المتوسط تحمل أسماء بعض المدن ونوع المنتوج الذي كانت تحمله ربما يوحي بأن شبه الجزيرة الطنجية كانت تتوفر على محترفات أخرى لصنع الأمفورات في الفترة الرومانية زيادة على محترف ظهر أسقفان، خاصة بعد ظهور مؤشرات في مدينة سبتة توحي بصنع المدينة لبعض أصناف الأمفورات، إضافة إلى هذا ثبت صنع أمفورات (Beltrán IIB) في مدينة تموسيدا[٤٠]، هذا ما يزيد من تأكيد ضرورة البحث الأثري في المنطقة لرفع هذا الإشكال بشبه الجزيرة الطنجية.

الملاحق:

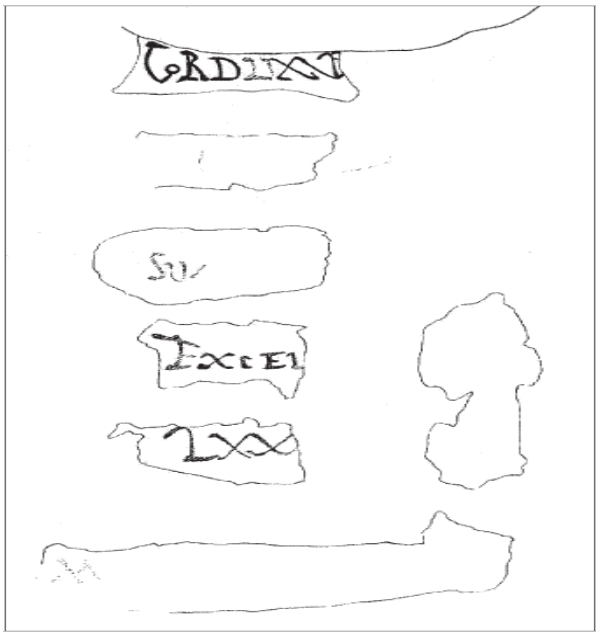

شكل رقم (١)

أمفورة لمدينة ليكسوس عثر عليها في Augst

Source: Martin-Kilcher, 1994, p. 27

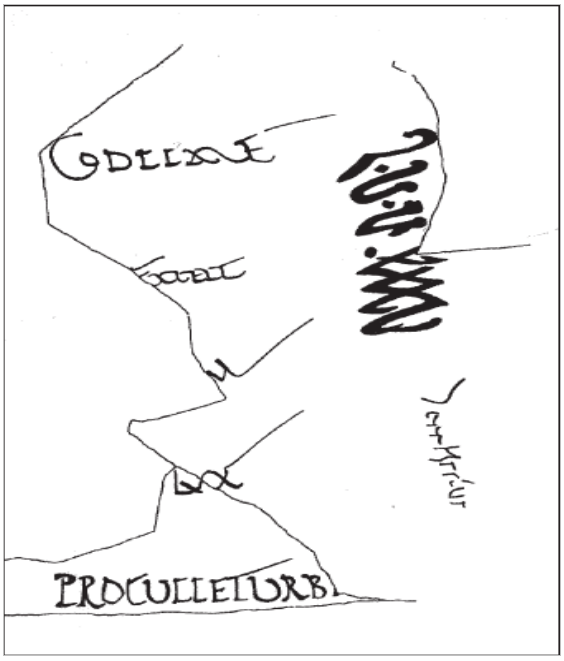

شكل رقم (٢)

أمفورة لمدينة ليكسوس عثر عليها في Mainz

Source: Martin-Kilcher, 1994, fig. 272, n.1

صورة رقم (١)

أمفورة لمدينة ليكسوس عثر عليها في Pecio Gandolfo

Source: B. Liou et E. Rodríguez-Almeida, 2000, p.12

الهَوامِشُ:

(1) M. Ponsich 1969, p. 75-98; H. Hassini, 2001, p. 38 ; Id., 2006, p. 804 ; M. Kbiri-Alaoui, 2004, p. 201 ; Id., 2007, pp. 65-99.
(2) M. Kbiri-Alaoui, 2007, p. 77-78.
(3) B. Mlilou 1990-91, p. 67-68.
(4) L. Callegarin, 2000, p. 1338.
(5) A. El Khayari et M. Lenoir, 2012, 131-145.
(6) H. Hassini, 2001, p. 49 et 60; M. Majdoub, 1996, pp. 300-2
(7) M. Ponsich, 1970, p. 187.
(8) J.J. Díaz Rodríguez, p. 2011, 573.
(٩) تشير كثير من الدلائل عن إنتاج السمك المصبر بموريطانيا الغربية منذ القرن السادس ق.م حيث عثر في بلاد الإغريق على بعض الأمفورات التي صنعت في محترفات الأقواس بداخلها بعض بقايا السمك المصبر، إضافة إلى هذا صنعت المنطقة أصناف متنوعة من الأمفورات كانت مخصصة لحمل هذا المنتوج كأمفورات (Maña-Pascual A4) و(T-9.1.1.1 Carmona) وأمفورات (Maña C2b) وأمفورات (Dressel 7-11)، كل هذه الأمفورات كانت مخصصة لتقل السمك المملوح.
(10) M. Ponsich, Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, BAM, V, 1964, pp. 235- 252; Id., Contribution à l'atlas archéologique du Maroc: région de Tanger, BAM, V, 1964 , pp. 253-290; Id., Contribution à l'atlas archéologique du Maroc région de Lixus, BAM,VI, 1966, pp. 377-423; Id., Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, Paris, 1970.
(11) M. Ponsich 1970, p. 253- 254.
(١٢) من بين هذه المعامل نذكر: معمل سانية الطريس، سبتة، القصر الصغير، الزهارة، سيدي قنقوش، كوطا، تهدارت، الأقواس، ليكسوس.
M.Ponsich et M.Tarradell, Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale, Coll. "Université de Bordeaux et Casa de Velasquez", Bibliothèque des Hautes Etudes hispaniques, 36, Paris, 1965.
(13) A. Hesnard 1998, p. 174.
(١٤) توجد محطة ظهر أسقفان على الضفة اليمنى لواد القصر الصغير على بعد ٨٥٠ متر من شاطئ البحر، وقد أشار إليها الباحث طراديل في ستينيات القرن الماضي M. Tarradell, 1966, pp. 434-5. بدأت الحفريات في هذه المحطة سنتي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ إثر مد الطريق السيار طنجة- واد الرمل، وقد أقيمت عملية التنقيب المستعجلة قبل أن يتم تحطيم الموقع المهم الذي يغطي فترة مهمة من تاريخ المغرب (الفترة المورية -القرن السادس قبل الميلاد- والفترة الرومانية ثم البدايات الأولى للفتح الإسلامي للمغرب). A. El Khyari et A. Akerraz, 2012, p. 11.
(15) A. El Khyari et A. Akerraz, 2012, p.14.
(16) H. Hassini, 2006, p. 805.
(١٧) تطلق كلمة Cordula على صغار سمك التونة التي لم تبلغ السنة من عمرها.
(١٨) تطلق كلمة Port(uensis) أو port(ensis) على نوع من السمك المصبر الذي اختصت منطقة مضيق جبل طارق في إنتاجه خاصة في معامل طنجة وليكسوس وقادس ومالقا، B. Liou, 1993, p. 140; B. Liou et E. Rodríguez-Almeida, 2000, pp. 12-13.
(19) B. Liou, 1987, p. 68.
(20) CIL IV, 5630.
(21) CIL IV, 5632.
(22) CIL IV, 5633.
(23) CIL IV, 5636.
(24) CIL IV, 5648.
(25) CIL IV, 9369.
(26) CIL IV, 9370.
(27) CIL IV, 10286a.
(28) S. Marttin-Kilcher, 1994, p. 27.
(29) L. Cerii, 2006, p. 2180.
(30) B. Liou et E. Rodríguez-Almeida, 2000, p. 13
(31) B. Liou, 1987, p. 68.
(32) Ibidem.
(33) CIL IV, 5629.
(34) CIL IV, 5637.
(35) CIL IV, 9373.
(36) CIL IV, 10286b.
(37) B. Liou, 1987, p. 69; B. Liou, 1993, p. 140; B. Liou et E. Rodríguez-Almeida, 2000, p. 12- 13.
(38) D.-B. Casasola y otros, 2009, pp. 14-16.
(39) D.-B. Casasola 1996, pp. 1191-1233.
(40) A. Akerraz et alii, 2007, p. 163.